

الإعجاز القرآني في كلمة "كِفَاتًا"

Qays Abdullah MOHAMMED *

الخلاصة: هذا البحث يُبَيِّن من خلاله: الإعجازُ البياني والعلمي البليغ في اختيار الكلمة القرآنية؛ وقد انكشفَ من خلال البحث تسعة معاني لكلمة {كِفَاتًا} كلها تُطابِقُ السياقَ القرآني، وأقوالَ المفسرين، واللغة العربية، والحقيقة العلمية، وهذه المعاني هي: (الضم، والطيران السريع، والحركة المتعرجة، والدوران والتقلب، والدوران في مدارات ثابتة، وكفث الأذى، وكون الأرض جامعة للضروريات، وكونها غطاء ووعاء، وأن من الأرض أحياء العمارة والنبات وأمواتاً بالجذب).

المصطلحات: التأويل، الإعجاز، النسق، الإعراب، الجاذبية، الحركة المتموجة، الدوران، التقلب، النظام البيئي

İ'câzu'l-Kur'ân Bağlamında "Kifâten" Kelimesi

Özet: Bu çalışmada Kur'ân kelimelerinin seçiminde ortaya çıkan edebî i'câz-ı beyânî ve i'câz-ı ilmî konuları açıklanmıştır. Araştırma esnasında "kifâtâ" kelimesinin Kur'ânî siyâka, müfessirlerin görüşlerine, Arap diline ve ilmi hakikatlere uygun dokuz manası ortaya çıkmıştır. Bu dokuz mana şunlardır: Çekmek, hızlı uçmak, kavisli hareket etmek, kendi etrafında dönmek, sabit bir ekseninde dönmek, canlılara ait rahatsız edici atıkları dönüştürmek, ihtiyaç duyulan şeyleri dünyanın ihtiva etmesi ve barınak olması, yeryüzünde medeniyet ve yeşil bir çevreyle oluşturulan yaşam alanları ve kuraklık sebebiyle oluşan ıssız mekânların olması.

Anahtar kelimeler: Te'vil, İ'caz, Nesk (uyumluluk), İ'rab, Ekosistem.

"Kifatan" (كِفَاتًا) in the Context of İ'câzu'l-Kur'ân

Abstract: This paper aims to explain themes of edebî i'câz-ı beyânî ve i'câz-ı ilmî. In the course of this study, it is revealed that the word "kifâtâ" has nine meanings in accordance with Kur'ânîsiyâka, views of glossators, Arabic language and scientific facts. These meanings are as follow: gravity, outfly, Helical movement, Earth's rotation, recycle droppings, the status of the World which contains every need of human beings including sheltering, civilization in the World, natural living environments in the world and desert lands in the world.

Keywords: Common meanings, gravity, Helical movement, ecosystem.

* Yrd. Doç.Dr., Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

الحمد لله الذي أنعم علينا بأعظم النعم وأكبرها وأتمها وهي نعمة القرآن الكريم الذي أنزله الله (تَبَيَّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)^١ وَلَمْ يُفْرِطْ فِيهِ بِشَيْءٍ (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)^٢ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرِّ بِهِ فَهَوَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ أَفْكَارٍ وَأَنْظَمَةِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ سَلْماً وَخَلْفاً قَالَ تَعَالَى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}^٣ ، الذي حوى المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة؛ مما يُغني ويروي ظمناً الطالب المتعطش للحقيقة في كل زمان ومكان قديماً وحديثاً؛ مما يناسب عموميه وشموله وكونه رحمةً للعالمين وشفاءً لكلِّ أمراض الحضارات، ودواءً لكلِّ عِللِ الأمم.

وسيرى في هذا البحث المعاني الجليلة المتواردة على قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا)^٤ ومطابقتها التامة الرائعة لجملة صفات الأرض التي كان يعرفها الناس وقت التنزيل، أو التي اكتشفت فيما بعد ذلك، وانطباقها الدقيق مع ما توصّل له العلم الحديث؛ مُشَكِّلاً إعجازاً مُذهلاً يُدِلُّ بصورة قاطعة على كون القرآن من عند الله العليم الخبير؛ وصدق الله العظيم القائل: {سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} وما أحسن ما قاله ابن عطية (ت ١١٤٨/٥٤٢) وتنى عليه الرافي (ت ١٩٣٧/١٣٥٦)؛ حيث أشاروا إلى أن نظم القرآن مُتميزٌ باعتبار الحروف والكلمات بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية، ويستحيل أن يقع في تركيبه كلمة زائدة أو حرف مُضطرّب أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض، بل نزلت جُملةً وكلماته وحروفه منارها على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة العالية الكاملة، بحيث لو نُزعت كلمة منه أو أُزيلت عن وجهها، ثم أُدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها، لم يتهياً ذلك ولا اتسعت له اللغة بكلمة واحدة البتة.^٥

والبحث الذي بين أيدينا هو من قبيل التأويل؛ إذ (التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر. وعلى هذا المعنى جاء قول عائشة: "كان رسول الله (ص) يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن".^٦ تعني قوله تعالى:

- | | |
|---|---|
| ١ | النحل، ١٦/ ٨٩ |
| ٢ | الأنعام، ٦/ ٣٨ |
| ٣ | يونس، ١٠/ ٥٨ |
| ٤ | المرسلات، ٧٧/ ٢٥ |
| ٥ | فصلت، ٤١/ ٥٣ |
| ٦ | ابن عطية عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٢، ج ١، ص ٥٢؛ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٨، ٢٠٠٥، ص ١٥٥ |
| ٧ | البخاري محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت ١٤٢٢ هـ، كتاب الاذان، باب التسبيح والدعاء في |

{فَسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} ^٩ ذلك لأن أصل التأويل في اللغة من الأَوَّل وهو ما يصبرُ إليه الشيء، وتأويل الكلام: أي عاقبته والمرادُ به. وقوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} ^{١٠}، أي تُكشَفُ عاقبته... وكذا قوله تعالى: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} ^{١١} أي حقيقته، والمآل: العاقبة والمصير ^{١٢}؛ فتأويل الآيات المتعلقة بخلق الكون هو انكشافها ومعرفتها على الحقيقة. وسنبين معاني هذه الآية مُستدلين بأقوال المفسرين واللغويين والمختصين، مع ربطها بإعرابها التي ستزيدُها وضوحاً.

الصيغة الصرفية لكلمة (كفأت)

ولكن قبل ذلك لا بُدَّ من إلقاء الضوء على أقوال العلماء في الصيغة الصرفية لكلمة (كفأت) لتتضح معاني الآية؛ وذلك على النحو التالي:

- (١) اسمٌ جنسي أو اسمٌ آلة، بمعنى: ما يجمع الشيء ويضمُّه كالصبرة والصندوق ووعاء الأمتعة ^{١٣}.
- (٢) جمع (كفأت) بالكسر بمعنى: (وعاء) كقِدح وقِداح ^{١٤}.
- (٣) جمعٌ كافٍ فهو اسمٌ فاعلي من الفعل (كفأت - يكفأت): كصائم وصيام ^{١٥}، وأجرى على الأرض مع إفرادها باعتبار أقطارها ^{١٦}.

-
- السجود، ج ١، ص ١٦٣: مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج ١، ص ٣٥٠.
 - ٨ النصر، ٣/١١٠.
 - ٩ القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٣.
 - ١٠ الأعراف، ٥٣/٧.
 - ١١ الكهف، ٨٢/١٨.
 - ١٢ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٣٧.
 - ١٣ الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ٣٠، ص ٧٧٢؛ الألوسي أبو الثناء محمود بن عبد الله، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، ج ١٥، ص ١٩٣؛ شهاب الدين الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الراضى، دار صادر، بيروت، ج ٨، ص ٢٩٧؛ أطفيش محمد بن يوسف بن عيسى الجزائري، التفسير، ج ١٢، ص ٩٠.
 - ١٤ البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ٢١، ص ١٧٤؛ إسماعيل حقي، روح البيان، دار الفكر، بيروت، ج ١٠، ص ٢٨٥؛ أطفيش، هميان الزاد، ج ١٥، ص ٩٦.
 - ١٥ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢١، ص ١٧٤، ابن عادل عمر بن علي الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢٠، ص ٧٥.
 - ١٦ الألوسي روح المعاني، ١٤١٥هـ، ج ١٥، ص ١٩٣؛ أطفيش، التفسير، ج ١٢، ص ٩٠.

٤) مصدر من الفعل (كَفَتَ - يَكْفِتُ) كما أن الكتاب مصدر كَتَبَ، أُجْرَى عليها مبالغة أو بمعنى: (ذات كَفَتٍ)، وهذا المصدر له معانٍ كثيرة: ستأتي أثناء طيات البحث^{١٧}.

٥) صفة بمعنى سريع؛ قال ابن منظور (ت ١٣١١/٧١١): (وَمَرَّ كَفَيْتٌ وَكِفَاتٌ: سَرِيعٌ؛ قَالَ زَهْرٌ:

مَرًّا كِفَاتًا إِذَا مَا الْمَاءُ أَسْهَلَهَا *** حَتَّى إِذَا ضُرِبَتْ بِالسَّوْطِ تَبْتَرُكُ)^{١٨}.

سياق الآية

وأما سياق الآية الكريمة فهو سياق التذكير بالنعيم الإلهية والمين الرحمانية والآيات الكونية والقدرة العظيمة؛ وما يعقُبها من التوبيخ على عدم شكرها وأدائها حقها، والتخويف من زوالها وعاقبتها؛ يقول الإمام الماتريدي (ت ٩٤٤/٣٣٣): (في ذكر هذا كله تذكيرٌ للآلاء والنعم، وتذكيرٌ للقدرة والسلطان والحكمة)^{١٩}. ويقول الفخر الرازي (ت ١٢١٠/٦٠٦) موضعا سبب مجيئها بهذا الترتيب في النسق: (اعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ النَّوعُ الرَّابِعُ مِنْ تَخْوِيفِ الْكُفَّارِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُمْ بِالنَّعِيمِ الَّتِي لَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَنْفُسِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَرَهُمْ بِالنَّعِيمِ الَّتِي لَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَفَاقِ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَدِّبِينَ وَالسَّبَبُ فِيهِ مَا قَدَّمْنَا أَنَّ النَّعِيمَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرُ كَانَتْ الْجَنَائِيَةُ أَفْحَحَ فَكَانَ اسْتِحْقَاقُ الدِّمِّ عَاجِلًا وَالْعِقَابُ أَجَلًا أَشَدَّ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ تِلْكَ الْآيَةَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّ النَّعِيمَ الَّتِي فِي الْأَنْفُسِ كَالْأَصْلِ لِلنَّعِيمِ الَّتِي فِي الْأَفَاقِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا الْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْأَعْضَاءُ السَّلِيمَةُ لَمَا كَانَ الْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِ مُمَكِّنًا)^{٢٠}. ولماذا لم يأت بأداة العطف على الرغم من دوام نفس السياق؟ يقول ابن عاشور: (ت ١٩٧٣/١٣٩٣): (جاءَ هَذَا التَّفْصِيلُ عَلَى سُنَنِ سَابِقِيهِ فِي عَدَمِ الْعَطْفِ لِأَنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ التَّكْرِيرِ لِلتَّوْبِيخِ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ لَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ لَهُمْ بِمَا فِيهَا مِمَّا فِيهِ مَنَافِعُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ})^{٢١}.

١٧ الزبيدي محمد بن محمد الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج ٥، ص ٦١؛ الواحدي علي بن أحمد بن محمد، التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ، ج ٢٣، ص ٩٠؛ البيضاوي عبد الله بن عمر بن محمد، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٨هـ، ج ٥، ص ٢٧٦

١٨ ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، ج ٢، ص ٧٨؛ وانظر الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، ص ٧١٣

١٩ الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٠، ص ٣٨١

٢٠ الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٠، ٧٧٢

٢١ النازعات، ٣٣/٧٩

٢٢ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج ٢٩، ص ٤٣٢

معاني الآية وإعراباتها

من خلال الإطّلاع على أقوال المفسرين واللغويين^{٢٣} وأهل الاختصاص؛ فإنّ هناك نحواً من ثمانية معانٍ، كلّها معاً صالحةٌ وموافقةٌ للنصّ والواقع؛ وما دام النصُّ القرآنيُّ يتحمل هذه الوجوه فلا مانعٌ من حملِهِ عليها؛ ما دام ليسَ هناك قرينةٌ^{٢٤} تمنعُ من إرادة تلك المعاني.

المعنى الأول: القَبْضُ وَالْجَمْعُ وَالْجَذْبُ وَالضَّمُّ

وهذا المعنى هو الرئيسي من بين المعاني، والذي اتَّفَقَ عليه كلُّ المفسرين؛ قال الواحدي (ت ١٠٧٦/٤٦٨): الكفت في اللّغة: الضمُّ، والجمعُ، يُقال: كَفَتُ الشيءَ: أي ضممتُهُ فأنكفت، أي انضممتُ، ومنهُ قول أوس:

كِرَامٌ حِينَ تَنكَفَتُ الْأَفَاعِي... إِلَى أَجَارِهِنَّ مِنَ الصَّقِيعِ

وقال قتادة (ت ٧٣٧/١١٨): (تكفّتهم أحياءً فوقها على ظهرها، و"أمواتاً" إذا فُيروا فيها. وهذا قول جماعة المفسرين)^{٢٥}، وقال الثعالبي (ت ١٤٧٠/٨٧٥): (والكفّات: الستروالوعاء الجامع للشيء بإجماع)^{٢٦}.

لكنّ منهم مَنْ حَصَّهَا بالضّمِّ في البيوت، ومنهم مَنْ جعلها عامّةً وهو الصحيحُ الموافقُ لعموم الآية؛ فعلى الدلالة الأولى يقول الإمام الطبري (ت ٩٢٣/٣١٠): (يقول تعالى ذكره: مُنِيهَا عِبَادُهُ عَلَى نِعْمِهِ عَلَيْهِم: أَلَمْ نَجْعَلِ) أيها الناس (الأرض) لكم {كفّاتاً} يقول: وعاءٌ، تقول: هذا كَفْتُ هذا وكَفَيْتُهُ، إذا كان وعاءً. وإنما معنى الكلام: أَلَمْ نجعل الأرض كفّاتاً أحيائكم وأمواتكم، تكفّت أحياءكم في المساكن والمنازل، فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بُطونها في القبور، فَيُدْفَنُونَ فيها)^{٢٧}.

وعلى دلالة العموم قال الإمام مكي بن أبي طالب (ت ١٠٤٥/٤٣٧): (قال الشعبي (ت ٧٢١/١٠٣): {كفّاتاً}: "بطنّها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم")^{٢٨}. وقال الفراء (ت ٨٢٢/٢٠٧): (أي: تحفظهم وتحرزهم)^{٢٩}

٢٣ انظر مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ، (ص. ٤٠).

٢٤ القران المانعة مثل مخالفة نصوص القران والسنة والإجماع، أو مخالفة العربية وغيرها من شروط التفسير بالرأي.

٢٥ الواحدي، التفسير البسيط، ج ٢٣، ص ٩٠؛ والبيت الشعري ورد في كتاب "سيبويه" غير منسوب. انظر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨ م، ج ٣، ص ٥٧٦

٢٦ الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ، ج ٥، ص ٥٣٨

٢٧ الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠ م، ج ٢٤، ص ١٣٣

٢٨ مكي بن أبي طالب الاندلسي، الهداية الى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨ م، ج ١٢، ص ٧٩٦٣

٢٩ الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، الدار المصرية، ج ٣، ص ٢٢٤

وجمع الإمام الماتريدي بين الرأيين فقال: (تكفّرتهم، أي: تضمّنتهم وتجمّعهم في حياتهم وبعد مماتهم، فالأنضمام إليها في حال حياتهم: ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت، وجعل لهم بعد مماتهم مقابر يُدفنون فيها، أو جعل مُتَقَلِّبِهِمْ ومُتَوَاهِمِمْ في ظهورها في حياتهم، وجعل بطنها مأوى لهم بعد وفاتهم)^{٣٠}.

وهذا المعنى يوافق ما جاء في الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «أَمَرْتُ أَنْ أُسْجَدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمَ عَلَى الْجَهَنَّةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلَا تَكُفَّتِ الْقِيَابَ وَالشَّعْرَ»^{٣١}؛ قال ابن رجب (ت ٧٩٥/١٣٩٣)^{٣٢}: (معنى (نكفت) أي: نضم ونجمع، ومنه قوله تعالى: {الْمُ نَجَعِلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} أي: نكفّتهم ونضمهم ونجمعهم وهم أحياء على ظهرها، وإذا ماتوا ففي بطنها) وكذا قال ابن حجر العسقلاني (ت ١٤٤٩/٨٥٢)^{٣٣}.

وهذه الآية فيها إشارة واضحة جليّة إلى "الجاذبية الأرضية" التي تربط كل الموجودات الحية وغير الحية بالأرض، وتلصق كل شيء بها لا تسمع له بفكالك^{٣٤} كما ذكر اللغويون (جَرَابٌ كَفَيْتُ: لَا يُضَيِّعُ شَيْئًا يُجَعَلُ فِيهِ)^{٣٥}، فكل شيء على سطح الأرض ينجذب إليها، وما وزن الأشياء في حقيقة الأمر إلا قوة جذبها نحو الأرض فإنها تسحبهم إليها وتضمهم إلى صدرها بشدة، كما تفعل الأم الحنون؛ قال الإمام الرازي: (كأنوا يُسَمُّونَ الْأَرْضَ أُمًّا لِأَنَّهَا فِي ضَمِّهَا لِلنَّاسِ كَالْأُمِّ الَّتِي تَضُمُّ وَلَدَهَا وَتَكْفُلُهُ)^{٣٦}، ولكون الأرض لا يفلت منها شيء أبداً جاءت الصيغة "كفات" مصدراً للمبالغة، وجاء المفعول {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} نكرة ليفيد العموم والشمول في كل شيء على وجه البسيطة؛ فالمقصود كل أحياء الإنس والجن وأمواتهم... وكل ما يُنبت وما لا يُنبت^{٣٧}؛ قال الرازي: (لم قيل: أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا عَلَى التَّنْكِيرِ وَهِيَ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ جَمِيعًا؛ الْجَوَابُ: هُوَ مِنْ تَنكِيرِ التَّفْخِيمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَكْفَيْتُ أَحْيَاءً لَا يُعَدُّونَ، وَأَمْوَاتًا لَا يُحْصَرُونَ)^{٣٨}.

ولم تأت كلمة (لكم) بعد {كفاتا}؛ لكي تُفيد العموم المطلق وهو الموافق للحقيقة العلمية، وهو خلاف ما

- ٣٠ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١٠، ص ٣٨٢، السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، ج ٣، ص ٥٣٣
- ٣١ البخاري، الجامع صحيح، كتاب الاذان، باب السُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ، ج ١، ص ١٦٦؛ مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصلاة، باب أَعْضَاءِ السُّجُودِ، ج ١، ص ٣٥٤
- ٣٢ ابن رجب عبد الرحمن بن احمد الجنبلي، فتح الباري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ج ٧، ص ٢٥٥
- ٣٣ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ١٧٩
- ٣٤ محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي، دار النهضة، مصر، ص ٤٩٦؛ محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، دار النهضة، مصر، ص ٧٠
- ٣٥ ابن فارس احمد بن فارس بن زكريا الرازي، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م، ج ٥، ص ١٩٠؛ الأزهري، محمد بن احمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م، ج ١٠، ص ٨٥؛ الواحدي، التفسير البسيط، ج ٢٣، ص ٩٠
- ٣٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٧٣؛ إسماعيل حقي، روح البيان، ج ١٠، ص ٢٨٥
- ٣٧ البيضاوي، أنوار التنزيل، ١٤١٨ هـ، ج ٥، ص ٢٧٦؛ الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي، ج ٨، ص ٢٩٧
- ٣٨ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٧٣

قدَّرهُ الطَّبْرِيُّ حَيْثُ قَالَ: (أَلَمْ نَجْعَلِ أَيْهَا النَّاسِ الْأَرْضَ "لَكُمْ" كِفَاتًا) وَخِلَافُ الْإِعْرَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَلُوسِيُّ (ت. ١٨٥٤/١٢٧٠)؛ حَيْثُ قَالَ: (وَجُوزَ انْتِصَابُ الْجَمْعَيْنِ {أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا} عَلَى الْحَالِيَةِ مِنْ مَفْعُولِ كِفَاتًا الْمَحذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ كِفَاتًا "إِيَاهُمْ أَوْ إِيَاكُمْ"، أَوْ كِفَاتًا "الْأَنْسَ" أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا)^{٣٩} أَوْ مَا ذَكَرَهُ أَطْفَيْشٌ (ت. ١٩١٤/١٣٣٢). حَيْثُ قَالَ: (كِفَاتًا حَالٌ مِنْ كَافٍ مَحذُوفَةٍ، أَيُّ أَلَمْ نَجْعَلْ لَكُمْ الْأَرْضَ)^{٤٠}.

وعلى هذا التأويل فإنَّ الإِعْرَابَاتِ الْمُحْتَمَلَةَ لِلآيَةِ كَالتَّالِي:

الإِعْرَابِ الْأَوَّلِ: {كِفَاتًا} مَفْعُولٌ بِهِ ثَانِي لَ (جَعَلْنَا)، فَيَكُونُ إِعْرَابٌ {أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا}:

(١) مَفْعُولًا بِهِ لَ {كِفَاتًا} إِنْ جَعَلْنَاهُ مَصْدَرًا أَوْ اسْمَ فَاعِلٍ، وَإِنْ جَعَلْنَاهُ اسْمًا فَإِثْمًا مَفْعُولَيْنِ بِفَعْلٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ تَكْفَيْتُ.

(٢) حَالًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْ مِنَ مَفْعُولِ {كِفَاتًا} الْمَحذُوفِ.. أَوْ مِنَ مَفْعُولِ حُذِفَ مَعِ فِعْلِهِ^{٤١}

(٣) تَمْيِيزًا مِنْ {كِفَاتًا} إِنْ جَعَلْنَاهُ اسْمًا لَمَّا يَجْمَعُ وَيَضُمُّ^{٤٢}

(٤) صَفْتَيْنِ لَ {كِفَاتًا} إِنْ جَعَلْنَاهُ اسْمًا؛ وَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَوْعِيَةً حَيَّةً وَمَيْتَةً^{٤٣}

(٥) بَدَلًا مِنَ {الْأَرْضِ}^{٤٤}

الإِعْرَابِ الثَّانِي: {كِفَاتًا} حَالٌ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ مِنَ {أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا} بِاعْتِبَارِهِمَا ثَانِي مَفْعُولِي نَجْعَلُ.^{٤٥}

المعنى الثاني: الطَّيْرَانُ السَّرِيعُ الشَّدِيدُ

وهذا المعنى الثاني ذكره الراغبُ (ت. ١١٠٨/٥٠٢) حيث قال: (وَالكِفَاتُ، قِيلَ: هُوَ الطَّيْرَانُ السَّرِيعُ... وَالكَفْتُ: السَّوْقُ الشَّدِيدُ)^{٤٦} وَكَذَا الْفَيْرُوزَابَادِيُّ (ت. ١٤١٥/٨١٧)^{٤٧} وَالْأَبْيَارِيُّ (ت. ١٩٩٤/١٤١٤)^{٤٨} وَسَائِرُ اللُّغَوِيِّينَ فِي

٣٩ الألويسي، روح المعاني، ج. ١٥، ص ١٩٣

٤٠ اطفيش، التفسير، ج. ١٢، ص ٩٠، المقصود من الكاف أي ضمير المخاطب (كم)

٤١ الألويسي، روح المعاني، ج. ١٥، ص ١٩٣؛ ابن هشام، أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ (ص. ١٩)

٤٢ ابن هشام، أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن (ص. ١٩)؛ اطفيش، هميان الزاد، ج. ١٥، ص ٩٦

٤٣ المصدران السابقان

٤٤ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، ١٤٢١هـ، ص. ٥٤٥

٤٥ الألويسي، روح المعاني، ج. ١٥، ص ١٩٣؛ المظهري، التفسير، مكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢، ج. ١٠، ص ١٦٦

٤٦ الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص. ٧١٣

معاجمهم؛ وهو يصف حركة الأرض السريعة الشديدة وهي تطير وتسبح في الجو؛ وعلى هذا القول فإن الاعراب المحتملة للآية كالآتي:

الإعراب الأول: {كفأتا} مفعول به ثان لـ (جعلنا)، فإن جعلناه مصدراً فالمعنى: ذات طيران سريع، وإن صيرناه صفةً - كما ذكرنا في التوجيه الصرفي - فعلى ظاهره؛ فيكون إعراب {أحياء وأمواتا}:

(١) منصوباً على نزع الخافض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ سَابِحَةً بِأَحْيَاءِ وَأَمْوَاتٍ).

(٢) بدلاً من الأرض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ أَحْيَاءَهَا وَأَمْوَاتَهَا تَسْبِخُ فِي الْفِضَاءِ).

(٣) ويُمكنُ فيها الحالية من الأرض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ حَالِ كَوْنِهَا ذَاتَ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتٍ تَسْبِخُ مُسْرَعَةً فِي السَّمَاءِ)^{٤٩}.

الإعراب الثاني: {كفأتا} حال من الأرض، و {أحياء وأمواتا} ثاني مفعولي نجعل.

فالملوئى جل وعز يصف الأرض بأنها تسبح بسرعة كبيرة بكل ما فيها من مخلوقات وأشياء حية وغير حية ورغم ذلك فهم مستقرون ثابتون على ظهرها لا تلقيهم عنها بسبب جاذبيتها الهائلة؛ يقول السمعاني (١٠٩٦/٤٨٩): (معنى الكفات ها هنا: هو أن الأرض تضم الخلق أحياء وأمواتاً، فالضم في حال الحياة هو باكتنائهم واستقرارهم على ظهرها...)^{٥٠} و (استقرار الناس على وجه الأرض، ثم اضطجاعهم عليها، انضمام منهم إليها)^{٥١}. وهذا من عظيم آيات الله ونعمه.

المعنى الثالث: الحركة الحلزونية اللولبية المتعرجة

من المعاني الثابتة المُجمَع عليها أن (الكفات من العدو والطيران كالحيدان في شدة)^{٥٢} و (كفت يكفت كفتاً وكفتاناً وكفاتاً: أسرع في العدو والطيران وتقبص فيه، والكفتان من العدو والطيران كالحيدان في شدة)^{٥٣} و (الكفت من الخيل: الشديد الوثب)^{٥٤}

٤٧ الفيروزآبادي، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز "ص. ١٣٢٣"

٤٨ الأبياري إبراهيم بن اسماعيل، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ، ج ٨، ص ٤٨٨

٤٩ السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، ج ١٠/ص ٦٣٧

٥٠ السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو المظفر، التفسير، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧، ج ٦، ص ١٢٩

٥١ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ٢٠، ص ٧٥

٥٢ الفراهيدي الخليل بن احمد، العين، دار هلال، ج ٥، ص ٣٤٠

٥٣ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٧٨؛ وانظر الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ٨٥

٥٤ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٥٩؛ مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، دار

وهذا المعنى العظيم يُجَلِّي لنا معجزةً غايةً في الروعة: وهو وصفُ الأرض بالحركة المَوْجِيَّةِ الاهتزازية التي تتميزُ بالحَيُودِ والميلانِ في شدةٍ، والتي تُشَبِّهُ حركةَ الطيرِ المُسْرِعِ (انظر الشكل رقم "١")، والخيَلِ الوائِبِ القافزِ؛ ذلك أنَّ الأرضَ تدورُ حولَ الشمسِ؛ والشمسُ ليستُ ثابتةً بل تجري كما وصفها اللهُ: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)^{٥٥} ولذلك فإنَّ الشكلَ الدقيقَ لهذه الحركة هو الكَفْتُ كما نَعَتَهُ الرُّبُّ سبحانه؛ وهذا إذا نظرنا من خارجِ المجموعة الشمسية (انظر الشكل رقم "٢")^{٥٦}. والاعرابُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابق الثاني؛ فتكون كالآتي:

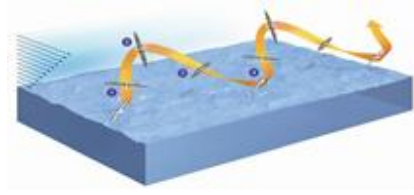
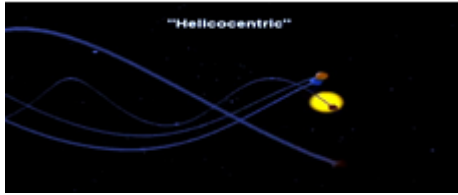
الإعراب الأول: {كفأتا} مفعول به ثانٍ لـ {جعلنا}، فالمعنى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ ذاتَ حركةٍ مَوْجِيَّةٍ؛ ويكونُ إعرابُ {أحياءٌ وأمواتاً}:

(١) منصوباً على نزعِ الخافضِ أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ منطلقاً متموجةً بأحياءٍ وأمواتٍ في السماء).

(٢) بدلاً من الأرضِ أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ أحياءها وأمواتها تسبحُ بحركةٍ لولبية).

(٣) ويُمكنُ فيها الحاليةُ من الأرضِ أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ حال كونها ذاتَ أحياءٍ وأمواتٍ تدورُ موجياً).

الإعراب الثاني: {كفأتا} حال من الأرض، ويكونُ {أحياءٌ وأمواتاً} ثانيَ مفعولي نجعل.



(الشكل رقم ٢) حركة الأرض حول الشمس إذا نظرنا من خارج المجرة.. والأرض...^{٥٨}

(الشكل رقم ١) هكذا يرسم الطائر مساراً يشبه المسار الذي ترسمه الأرض أثناء حركتها عبر المجرة.^{٥٧}

56 www.kaheel7.com ,ar

57 <http://spectrum.ieee.org/aerospace/robotic-exploration/the-nearly-effortless-flight-of-the-albatross>

58 www.djsadhu.com/the-helical-model-vortex-solar-system-animation

المعنى الرابع: الدورانُ والتقلُّبُ

ذكر الإمام الماتريدي^{٥٩} والشوكاني (ت. ١٢٥٠/١٨٣٤)^{٦٠} وغيرهما وكذا أصحاب المعاجم والقواميس أنَّ من معاني الكفت: الدورانُ والتقلُّبُ؛ يقول الزبيدي (ت. ١٢٠٥/١٧٩٠): (الكَفْتُ تَقْلُبُ - وفي بعض النسخ - تَقْلِيْبُ الشَّيْءِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَبَطْنًا لَظْهِرٍ)^{٦١}

وهو وصفٌ دقيقٌ لحركة الأرضِ حولَ نفسها ودورانها حولَ محورها وتقلُّبها في الفضاء. وهذا المعنى أكدهُ الربُّ بآياتٍ كثيرةٍ منها: قوله تعالى: {يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ} ^{٦٢} {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} ^{٦٣} وإعراب الآية حسب هذا المعنى يكون كسابقه

المعنى الخامس: دورانُ الأرضِ في مداراتٍ ثابتةٍ حولَ نفسها، وحولَ الشمسِ

ذكر المفسرون أنَّ من معاني الكفت: العودةُ إلى نقطةِ البداية؛ فذكروا أنَّه: (يُقَالُ انْكَفَتَ الْقَوْمُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، أَي: انْقَلَبُوا)^{٦٤} ويقال: (كَفَتُ الْقَوْمُ، أَي: أَلْحَقْتُ أَوْلِيَهُمْ بِآخِرِهِمْ)^{٦٥}. فهذا المعنى يوافقُ تماماً الحقائق العلميةَ في رجوعِ الأرضِ إلى نقطةِ انطلاقها في مدارها حولَ ذاتها ممَّا يُنتِجُ الليلَ والنهارَ، وحولَ الشمسِ ممَّا يُشكِّلُ الفصولَ الأربعةَ بصورةٍ دوريةٍ منتظمةٍ؛ وهذا المعنى في الحقيقة مُكَمَّلٌ لسابقه وإنما أثبتناه لوجوده بعينه في اللغة العربية. وأيضاً فهو لا يُخالفُ التفسيرَ الثاني بل يُكَمِّلهُ، لأننا نتكلم هنا عن رؤيتنا للأرضِ من داخلِ المجموعة الشمسية، وفي المعنى الثاني نتكلمُ عنها من خارجِ المجموعة الشمسية. والإعراب هنا أيضاً لا يختلفُ عن سابقه.

٥٩ انظر الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج. ١٠، ص ٣٨٢

٦٠ انظر الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ، ج. ٥، ص ٤٣٢

٦١ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج. ٥، ص ٦٣، وانظر الفراهيدي، العين، ج. ٥، ص ٣٤٠

٦٢ الزمر، ٣٦/٥

٦٣ الأنبياء، ٢١/٣٣

٦٤ القرطبي ابو عبدالله محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج. ١٩، ص ١٦٢؛ ابن عادل، اللباب، ج. ٢٠، ص ٧٥؛ الخطيب الشربيني، السراج المنير، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ج. ٤، ص ٤٦٥؛ وانظر الأزهرى، تهذيب اللغة، ج. ١٠، ص ٨٥

٦٥ ابن فارس، مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦، ص. ٧٨٨

المعنى السادس: الأرض تَكْفَيْتُ أذاهم في حال حياتهم، وَجَيْفِيهِمْ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ^{٦٦}

وهذا التأويل صرَّح به جملة من المفسرين^{٦٧}؛ قال مجاهد (ت ١٠٤/٧٢٢): {كفأتا}: تَكْفَيْتُ أذاهم وما يخرج منهم أحياء وأمواتاً^{٦٨} وعلى هذا التأويل فإنَّ الإعرابِ المحتملةَ للآية تكون كالإعراب الأول من المعنى الأول: لأننا لا يُمكنُ هنا أن نعربَ {كفأتا} حالاً. والله اعلم.

وهذا المعنى غاية في الأهمية فإنَّ أحدَ أكبرِ الأسبابِ في بقاء الحياة على الأرض: هو قدرتها على استيعاب كل ما يموت على ظهرها، وتحليله، وتحويله من مادةٍ في غاية الضرر والأذى إلى موادَّ نافعةٍ للأحياء تُسهمُ في تنشيط الأرض وتزويدها بـ"الطاقة المتجددة" وإعادة الحياة إليها؛ مُكوِّنة ما يُسَمَّى علمياً "النظام البيئي" المتكامل والمتوازن.

المعنى السابع: أَنَّ الأَرْضَ جَامِعَةٌ ضَامَةٌ لِكُلِّ حَاجَاتِ الخُلُقِ وَضُرُورِيَّاتِهِمْ

وفي هذا المعنى يقول الرازي: أن الأرض {كفأت الأحياء بِمَعْنَى أَنَّهَا جَامِعَةٌ لِمَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ. وَالْأَنْبِيَةُ الْجَامِعَةُ لِلْمَصَالِحِ الدَّافِعَةُ لِلْمَضَارِّ مَبْنِيَّةٌ مِنْهَا^{٦٩}. وقريب منه قول الماتريدي: (جعل مُتَقَلِّبِهِمْ وَمُتَوَاهِمٍ فِي ظَهْرِهَا فِي حَيَاتِهِمْ، وَجَعَلَ بَطْنَهَا مَأْوَى لَهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَجَعَلَ ظَهْرَهَا بِسَاطًا لَهُمْ؛ لِيَسْلُكُوا فِيهَا سُبُلًا فِجَاجًا؛ وَقَدَّرَ لَهُمْ فِيهَا أَقْوَاتَهُمْ)^{٧٠} وهذا المعنى أكدَّه الربُّ بآياتٍ كثيرةٍ منها: {وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا^{٧١}}. وهذه الدلالة يسندها أيضاً أحد معاني "الكفت": وهو "الكفَيْتُ": القُوْتُ مِنَ العَيْشِ^{٧٢}، وهذا المعنى له دالتان:

الأولى: أَنَّ الأَرْضَ إِنَّمَا تَبْقَى جَامِعَةً لِأَقْوَاتِ "الأحياء" بسبب وجود الأموات، أي بسبب "النظام البيئي"؛ فإنَّ أقوات الأرض إنما تدوم وتستمر؛ لأنَّ الكائنات الحية التي تموت، تتحلل في التربة وتُشكِّلُ غذاءَ النباتات وسماذها الذي به بقاؤها ودوامها؛ والتي تكون بالنتيجة غذاءَ الحيوانات؛ ومن ثمَّ فهُمَا قوتا الإنسان الذي به حياته ودوامه؛ وهكذا فإنَّ البقاء مرهون بهذه الدورة البيئية المتكاملة.

- ٦٦ وهذا المعنى والمعاني الآتية تابعة للمعنى الأول: (الضم والجمع)، لكنني أخرجتها لاستقلالها بدلالات جديدة
- ٦٧ انظر مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج ١٢، ص ٧٩٦٣؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٧٢
- ٦٨ الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٣٤
- ٦٩ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٧٢
- ٧٠ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ١٠، ص ٣٨٢
- ٧١ فصلت، ٤١/١٠
- ٧٢ ابن سيده علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ، ج ٦/ص ٧٧٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٧٨

والأخشابُ شكَّلتُ مُعظَمَ مصادرِ الطاقةِ القديمةِ. وهكذا النفطُ والغازُ والفحمُ الحجريُّ فقد تكونت من الغابات والحيوانات المندثرة والمنظرة عبر ملايين السنين تحت طبقات التربة.

الثاني: أنَّ الأرضَ إنَّما تكونُ جامعةً لأرزاقِ أجيالِ الناسِ وعصورهم حالَ كونِ الناسِ أحياءَ وأمواتاً؛ فإنه يستحيلُ استمرارُ الأرضِ قوتاً للناسِ من آدمَ إلى آخرِ الزمانِ لو لم يكنْ هناك موتٌ، فموتُ البعضِ ممَّنْ فَقدَ القدرةَ على البقاءِ هو سببٌ في بقاءِ البعضِ الآخرِ الذي يستمتعُ بِقُوَّةِ الشبابِ وحيويتهم؛ وفي هذا يقولُ الشيخُ محمدُ الحسنُ الشنقيطي: (من رحمةِ اللهِ بالناسِ أنَّ خَلَقَ الموتَ والمصائبَ لتتسعَ الأرضُ لسكانها وقد ورد في حديثٍ ضعيفٍ: عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: "مَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَسَعُهُمْ، فَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ مَوْتًا، قَالَ: إِذَا لَا يُهَيِّئُهُمُ الْعَيْشُ، قَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ أَمَلًا"^{٧٣}. فالموتُ به تَسَعُ الأرضُ الخلائقُ، فالأرضُ جعلها اللهُ {كفأناً أحياءً وأمواتاً}؛ فلذلك يعيشُ الأحياءُ على ظهرها، ويُدفنُ الأمواتُ في بطنها فتتسعُ لهم بالموتِ، والأرزاقُ كذلك إنَّما تُعْمُ الخلائقُ بالموتِ. فللهِ حكمةٌ في كلِّ أمرٍ^{٧٤}، وعلى هذا التأويلِ فإنَّ الإعرابِاتِ المحتملةَ للآيةِ كما في المعنى الأولِ.

المعنى الثامن: أنَّها غطاءٌ ووعاءٌ لما فيها

وقد سبقَ تبيانُ هذا المعنى في الصيغةِ الصرفيةِ الأولى؛ والناظرُ إلى الكائناتِ على الأرضِ لا يرى هذا الأمرَ؛ فهُم على الأرضِ وفوقها وليسوا في بطنها وداخلها، هكذا يبدو لأولِّ وهلةٍ إلَّا أنَّ الرائيَ لها على الحقيقةِ يراهم في داخلها وفي وعائها وهي تُعْطِهم، وذلك بسببِ "الغلافِ الجويِّ" المحيطِ بالأرضِ مثلَ الحزامِ والذي يحمينا من المخاطرِ ويوقِّرُ مُعظَمَ أسبابِ الحياةِ؛ وبسببِ هذا "الغلافِ" فإنَّ القرآنَ لم يقلْ أبداً "سيروا على الأرضِ" ولم يستعملِ "على" الاستعلانية، بل استعملِ "في" الطرفية؛ فقال: {سيروا في الأرضِ}^{٧٥} وكرَّرَ هذه الآيةَ (١٣) مرةً مُؤكِّداً هذا المعنى المهمَّ الدقيقَ.^{٧٦} ولنفسِ الدلالةِ قال تعالى: {سعى في الأرضِ}^{٧٧}، وقال: {يتبهُونَ في الأرضِ}^{٧٨}، وقال: {ويَسْعُونَ في الأرضِ}^{٧٩}، إذًا فالآيةُ تشيرُ إلى "غلافِ الأرضِ الجويِّ" بأبسطِ تعبيرٍ

٧٣ ابن أبي شيبة، المصنّف، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ج٧، ص١٩٠، وقال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمتأثور دار الفكر، بيروت، ج١، ص١١٤، (أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنّف وأحمد في الزُّهد وابن أبي الدُّنيا في الأمل)

٧٤ دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، ج٢، ص١٠، <http://shamela.ws/index.php/book/7722>

٧٥ الأنعام، ٦/١١

٧٦ الشعراوي محمد متولي، التفسير، مطابع أخبار اليوم، ج٣، ص١٧٧١، ج٥/ص٣٠٩٨، ج١٢/ص٧١٣١

٧٧ البقرة، ٢/٢٠٥

٧٨ المائدة، ٥/٢٦

٧٩ المائدة، ٥/٣٣

وأجمليه^{٨٠}، والإعرابات هنا، كما هي في المعنى الأول.

المعنى التاسع: أن من الأرض أحياء بالعمارة والنبات، وأمواتاً بالجذب والجفاف

يقول ابن الجوزي (ت ١٢٠١/٥٩٧): (المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء بالعمارة والنبات، وأمواتاً بالخراب واليبس، هذا قول مجاهد، وأبي عبيدة (ت ٨٢٣/٢٠٨))^{٨١}. أي أن الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي يُنبِت، وإلى ميت وهو الذي لا يُنبِت. والإعراب الأول من المعنى الأول نفسه هنا.

جدول توضيحي للإعرابات

المعنى	إعراب: كفأتاً	إعراب: أحياء وأمواتاً
١	مفعولٌ به ثانٍ لـ {جعلنا}	مفعولاً {كفأتاً} أو بفعلٍ محذوفٍ تقديره تكفّت
		حالاً من الأرض أو من مفعول {كفأتاً}
		المحذوفٍ أو من مفعولٍ حذِفَ مع فعله
		تمييزاً من {كفأتاً} إن جعلناه اسماً لما يجمع ويضم
		صفتين لـ {كفأتاً} إن جعلناه اسماً
		بدل من الأرض
	حالٌ من الأرض	ثاني مفعولي {نَجْعَلُ}
٢	مفعولٌ به ثانٍ لـ {جعلنا}	منصوب على نزع الخافض
		بدل من الأرض
		حالٌ من الأرض
	حالٌ من الأرض	ثاني مفعولي {نَجْعَلُ}
٣	الإعرابات المحتملة هنا كما في المعنى السابق "٢"	
٤	الإعرابات المحتملة هنا كما في المعنى السابق "٢"	

٨٠. أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، (ص. ٧٠).

٨١. ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج ٤، ص ٣٨٥؛ وانظر الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦، ص ١٢٩؛ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥/ ص ٤١٩؛ ابن عادل، اللباب، ج ٢٠، ص ٧٥.

٥	الدورانُ بمداراتٍ ثابتةٍ	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابق "٣"
٦	كُفْتُ الأذى	نفس الإعراب الأول من المعنى الأول "١"
٧	جامعة للضروريات	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى الأول "١"
٨	غطاء ووعاء	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى الأول "١"
٩	مِن الأَرْضِ أحياءٌ وأموات	نفس الإعراب الأول من المعنى الأول "١"

الخاتمة

تبيّن من خلال هذا البحث الإعجازُ البليغُ في اختيارِ الكلمةِ القرآنيةِ صوتاً و صرفاً ومعنى؛ وقد انكشفَ من خلال البحث تسعةُ معانيٍ لكلمةِ (كفّاتاً) كلّها تُطابقُ النسقَ القرآني، واللغةَ العربيةَ، والحقيقةَ العلميةَ والواقعَ كما هو، ولا تخالفُ أيّ نصٍّ شرعيٍّ من كتابٍ أو سنةٍ، ولا إجماعٍ، ولا نصٍّ لغويٍّ أو قواعدَ نحويةٍ أو صرفيةٍ، ولا يوجدُ ما يُنقضُها من أقوالِ السلفِ رحمهم الله، وهذه المعاني هي: (الضمّ، والطيْرانُ السريعُ، والحركةُ المتعرجةُ، والدورانُ والتقلُّبُ، والدورانُ في مداراتٍ ثابتةٍ، وكُفْتُ الأذى، وكونُ الأرضِ جامعةً للضروريات، وكونُها غطاءً ووعاءً، وأنَّ من الأرضِ أحياءً بالعمارةِ والنباتِ، وأمواتاً بالجدبِ) وهذه المعاني اغتَوَزَها نحوٌ من سبعةِ إعرابات.

وقد كانَ القصدُ منه إبرازَ وكشفَ بعضِ وجوهِ عظمةِ القرآنِ وإعجازه، وإظهارَ أهميةِ المشتركِ اللفظي في تفسيرِ الكتابِ العزيزِ؛ ممّا يدفعنا إلى المطالعةِ المستمرةِ في أقوالِ المفسرينِ وكتبِ المعاجمِ والمرادفاتِ والفروقِ والأشباهِ والنظائرِ، وضرورةِ التدبيرِ العميقِ عندَ قراءتهِ اليوميةِ، والربطِ الدائمِ المستمرِ بينه وبينَ الحقائقِ الكونيةِ والإنسانيةِ والعلميةِ والواقعيةِ لتتكشفَ أسرارُ عَظَمَتِهِ أَكثَرَ.

المصادر

- ابن أبي شيبة، المصنّف، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ.
 ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت
 ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة
 ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت
 ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م
 ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية - بيروت
 ابن فارس، مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م
 ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر

ابن هشام، أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ

- الابيارى، الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ
- الأهري، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م
- إسماعيل حقي، روح البيان، دار الفكر، بيروت
- الاصفهانى، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق
- اطفيش، تفسير اطفيش
- اطفيش، هميان الزاد
- الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ
- البخاري، الجامع الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت، ١٤٢٢هـ
- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي
- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٨هـ
- الترمذي، السنن، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٧٥م
- الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ
- الخطيب الشريبي، السراج المنير، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ
- الداودي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت
- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية
- الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م
- السمرقندي، بحر العلوم
- السمعاني، التفسير، دار الوطن، الرياض
- سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة - ١٩٨٨م
- السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور دار الفكر، بيروت
- شهاب الدين الخفاجي، عنأية القاضي وكفاية الرأضي، دار صادر - بيروت
- الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ
- الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م
- الفراء، معاني القرآن، الدار المصرية
- الفراهيدي، العين، دار هلال
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م

- القطان .مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م
الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت
الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت
مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، دار الدعوة
محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، دار النهضة، مصر
محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي، دار النهضة، مصر
مساعدة الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ
مسلم، المسند الصحيح، دار إحياء التراث، بيروت
مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، ٢٠٠٥م
المظهري، التفسير، مكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢هـ
مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨ م
الواحدي، التفسير البسيط، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ